

كحل: مجلّة لأبحاث الجسد والجندر
مجلّد ٢، عدد ٢ (شتاء ٢٠١٦)

تأدية دور العربية

بقلم تانيا الخوري

يستند هذا النص على محاضرة قدّمت في عام ٢٠١٤ ضمن لقاء "فيم فرش" في جامعة الملكة ماري في لندن حيث دعيت كضيفة محاضرة عن الفن الحي والنسوية.

خلال موجة الانتفاضات التي اجتاحت مناطق الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، تمّ اعتقال الآلاف من الناشطين - والعديد من النساء بينهم وسجنهم/هنّ وتعذيبهم/هنّ في البحرين، مصر، سوريا، تونس، اليمن، وغيرها من البلدان.

وكانت النساء في مصر موجودات بأعداد كبيرة في التظاهرات العامة للثورة المصرية عام ٢٠١١. وأكّدت وجودهنّ على الرغم من التعنيف والاعتصام الجماعي، واختبارات العذرية التي أدارها الجيش. في مشهد معيّن، سحل الجنود امرأة على الأرض، وكشفوا عن حمالة الصدر الزرقاء التي كانت ترتديها قبل أن يقوموا في الدّس على صدرها. بعد ذلك الفعل من القمع المسرحي، استخدم العديد من النشطاء حمالة الصدر الزرقاء كرمز نسوي لمقاومة كلّ من الاستبداد والنظام الأبوي. وبدت الصورة مرسومة كجغرافيتي على جدران مختلف المدن العربي.

كانت النساء تقدن الاحتجاجات في البحرين. هناك، قام النظام بإيقاف وبعثال أزواجهن أملا في إسكات وكبح جماح الزوجات اللواتي كنّ في طليعة الحركة. واعتقلت إحدى صديقاتنا، نزيهة سعيد، وتعرّضت للتعذيب. في نقطة معيّنة من هذه المحنة، حشرت السلطات حذاءها أسفل حلقها في محاولة حرفيّة لإسكاتها ومعاقبة صراحتها. لكنّ صوتها أصبح أعلى من ذلك بكثير بعد تلك الحادثة.

في خضم قصص المقاومة النسوية والثورة ظهرت "فيمن"، مجموعة من الناشطات البيض العاريات اللواتي قرّرن شنّ الحرب لإنقاذ النساء السمراوات من الرجال السمر. فيمن تقترض الكثير من جماليات فن الأداء. في الواقع، قدّ يعتبرها البعض فرقة أفنيّة للأداء الحيّ، نظراً لكونهنّ تستخدمن العري، طلاء الجسم، الحركة المسرحية، والدعائم الرمزية، وأصواتهنّ بهدف صدمة الجمهور وإجبار من حولهنّ على النقاش السياسي. في الأونة الأخيرة، كشفت مخرجة شابة تدعى كيتي غرين^١ قامت بتوثيق المجموعة أنّ ناشطات "فيمن" في الواقع يرأسهنّ من وصفته بأنه "رجل مؤذ". قالت أنّ من يدعى فيكتور سياتسكي يدير العرض ويلعب دور المخرج المسرحي، من خلال تصميم تصرفات النساء وانتقاء النساء الأكثر جاذبية للمشاهد. على ما يبدو أنه يعتقد أنّ وجود الصدور العارية "الجميلة" (وفقاً لمعايير النمطيّة الغيرية الأبويّة) من شأنه أن يجعل الشعار السياسي الذي كتب تحتها أكثر عرضة للانتقاء من قبل وسائل الإعلام الرئيسية.

يبدو أن المجموعة التي تريد انقاذ النساء السمراوات تحتاج للأسف لإنقاذ نفسها. كما جادلت المفكرة ليلي أبو لغد، إن التركيز على "إنقاذ" النساء المسلمات يحوم حول حفظ الغربيين من مواجهة مشاركتهم في خلق الوضع الذي تعيش فيه هؤلاء النساء "الأخريات"، فضلاً عن تقييم حالة العنف والقمع التي تعيشها المرأة في الغرب، من خلال خلق "القطبيّة التي تضع النسوية فقط على جانب الغرب".^٢

ونتيجة لهذه الخريطة من المعارضة السياسية من جهة، والاستحواذ من جهة أخرى، قمت مؤخراً بإعادة النظر في موقعيتي بصفتي فنّانة عربيّة ونسويّة أجول في أماكن مختلفة في جميع أنحاء العالم. تذكرت استجابات مختلفة من الجماهير المشاركة في عروضي التفاعلية، فضلاً عن ردود فعل المارة والشرطة

^١ <http://www.independent.co.uk/arts-entertainment/films/news/the-man-who-made-femen-new-film-puts-victor-svyatski-as-the-mastermind-behind-the-protest-group-and-8797042.html>

^٢ <http://ideas.time.com/2013/11/01/do-muslim-women-need-saving/>

ووسائل الإعلام وزملائي. لم أستطع إلا أن ألاحظ كيف اختلفت وإلى أي حدّ كشفت سياسات الجماهير نفسها.

في عام ٢٠٠٩، قمت بابتكار أداء يدعى "جريدة" الذي يقام في المقاهي العامة ويدعو الجمهور إلى المشاركة من خلال التعرف على الشخص الأكثر اشتباهاً في المقهى وفقاً للمعايير الواردة في تقرير شرطة لندن. وقد تمّ تعميم هذه الوثيقة على مديري الأعمال في قطاع الخدمات في وسط لندن في محاولة لتتقيهم حول كيفية اكتشاف الإرهابيين. يدور العمل حول تسخيف فكرة القدرة على التعرف على الإرهابيين في الفضاء العام من خلال سرد قصص لمقاتلات لبنانيات اللواتي بدین مثل نجوم الرّوك في الثمانينات، يخططن للعمليات العسكرية ويخبئن مسدّسات تحت تنانيرهنّ وقنابل في سياراتهنّ. غني عن القول، أنّ العديد من أفراد الجمهور اعتقد أنّ القصص عن هذه المقاتلات العلمانيّات والساحرات مجرد خيال.

في عام ٢٠١١، قمت بخلق عرض فن حي تفاعلي يشاهده شخصاً واحداً فقط في كل عرض. سمّيته ربما إذا قمت بتصميم حركاتي، سوف تشعر بالارتياح. وكان العرض مفتوح لأفراد الجمهور من الذكور فقط. كانت الفكرة أن أعطي الرجل المشهد المثالي لامرأة تمر تحت شباكه في الشارع.^٣ يقوم الرجل، أي الجمهور، بمشاهدتي من نافذة في الطابق الثالث وتصميم تحركاتي في المدينة. يتحدّث إليّ من خلال سماعات لاسلكية ويعطيني تعليمات حول ما يجب عليّ القيام به في الشارع.



^٣ https://www.youtube.com/watch?v=hWITM3N_1Is

بعد اختيار الجمهور اسم وحركة معينة لي، كان يعطى له اختيار زيّ مستوحى من شخصيّتين واقعيّتين: المناضلة الفلسطينية ليلي خالد وملكة الأردن، رانيا. ثم نمزج عن حقيقة أنني غير قادرة على أن يكون مظهري أيّ شيء إلا إكزوتيكياً. في واقع الأمر، إن الاختيار بين هذين "النمطين" مفيد للغاية. انه ليس مجرد اختيار بين شعر مستعار وفتان قصير أو كوفيّة فلسطينية. انه ليس مجرد اختبار ما اذا كان جمهوري يميل أكثر نحو حركة التحرير الفلسطينية أو الأنظمة الاستبدادية المدعومة من الغرب في الشرق الأوسط. بل هو أيضاً حول ما يروونه دور المرأة في السياسة، مقاتلة أو أداة دعائية للمملكة.

وقال البعض أنّهم اختاروا الملكة رانيا لأنّ صورة ليلي خالد تخيفهم. عيناها شرستان، قد يقول البعض. ما زلت أتذكر قول أحدهم أنها تبدو كأنها تعرف ما تريد، وهو على ما يبدو شيء لم يشعره بالارتياح. من الملفت استخدام العديد من الرجال مصطلح "ضعيفة" عندما اختاروا صفات للمرأة التي كانوا يخلقونها: ضعيفة، رومانسية، حزينة، ومثيرة، وهلم جرا.

عند ادراكهم أن الشخص الذي أنشؤوه كان يفعل بالضبط ما كانوا يطلبونه منّي، صار الجمهور يسألني أن ألمس نفسي، ألكم الرصيف، أركض نحو الجدار، أقفز أمام سيارة متحركة، أنتهد، أبكي، أصرخ. وصلت إلى نقطة حيث كنت استأت من أداء هذا العمل. كانت دائماً متعبة، صادمة في بعض الأحيان، ومعظم الوقت باعثة على الاكتئاب. ولكنه كان خياراً، تجربة، تعليقاً على عدد من الأشياء، وأنا لا أستطيع أن أقول إنني فوجئت حقيقة أن الرجال أساؤوا استخدام السلطة التي منحت لهم. ولكن حتى الرجال الذين ادعوا كونهم متضامنين وعبروا عن أنفسهم كنسويين أو كويريين، كانوا بنفس الإساءة وقت العرض.



ولكن أبعد من الجمهور، كنت في كثير من الحالات، متضررة من ردود الأفعال على العمل من زميلاتي، من النسويات، معظمهن قد سمعن عن فكرة العرض ولكن لم يمكنهن تجربته لأنه كان خاصاً بالرجال فقط. وكانت هذه الردود على غرار: "فكرة عظيمة يا تانيا، أعتقد أنها عن البلاد التي أتيت منها، لأن الوضع مجنون قليلاً هناك بالنسبة للنساء، أليس كذلك؟ هل يمكنك ارتداء ما تريدين هناك؟" في بعض الأحيان، كن يعقبن هذا النوع من التعليقات بكلام من قبيل: "أعرف ذلك لأنني سافرت في عطلة إلى دولة عربية العام الماضي" كأن الـ ٢٢ دولة عربية، مع خصائصها المتفاوتة من الديموغرافية والأعراق والأديان والثقافات والتواريخ والأنظمة السياسية، لديها وسيلة واحدة موحدة لمعاملة النساء. شعرت أنني واجهت عبء تمثيل الملايين من النساء العربيات في تلك النصف ساعة من العرض الحي وفي أي محادثة أجريتها حوله.

مهما كانت معقدة الأفكار التي بإمكان فن الأداء معالجتها، فإنه في كثير من الأحيان ما تختزل إلى علاقة نمطية بسيطة تكون فيها المرأة السمرء الضحية. ولكن لا يوجد نقص في الوضوح والتعقيد في نقد الأعمال الفنية الغربية. في هذا الصدد، يناقش عمل السيرة الذاتية لتريسي إمين من حيث الشكل والمضمون، ولكن نادراً ما يعتبر تمثيلاً لجميع النساء البيض. على سبيل المثال، لا يمكن لأحد رؤية عملها والتخلص إلى استنتاج أن كل النساء البريطانيات تعرضن للاغتصاب في طفولتهن. ومع ذلك، ودائماً يجب أن تكون أعمالنا عن النساء العربيات وجميع النساء العربيات.

اجبار الفنانين/ات الملونين/ات على تحمّل عبء التمثيل قد ينتهي بدفعهم/هنّ خارج إطار التحالفات النسوية العابرة للأقطار، حابساً إيانا في تعميم جارف ووجهة نظر استشراقية عن النساء العربيات. القيام بذلك يتجاهل صعود الخطاب النسوي الاستعماري واستخدام حقوق النساء السمرارات لتبرير أشكال متعددة من العنف في بعض المجتمعات غير الغربية. هذا هو في الواقع حال مبررات الحرب في أفغانستان، وقمع الأقليات المهاجرة في أوروبا (كما في حالة قانون الحجاب في فرنسا)، أو لوضع قبعة فاخرة ومثقفة ورايكالية على رهاب الاسلام (كما في تصرفات فيمن ومسرحية DV8 [هل يمكننا أن نتحدث عن هذا؟](#) التي عرضت في المسرح الوطني في لندن).

في النظر بعيداً عن فن الأداء المؤسسي، أنا مهتمة بالتعلم من السياسة الأدائية النسوية التي لا تزال تحدث في الأماكن العامة في جميع أنحاء العالم، ونحن نرى كيف يمكن لهذه الأفعال، التي يقوم بها غير الفنانين/ات، أن تؤثر على عملنا كفنانين/ات نسويين/ات. على سبيل المثال، حاول رگاب الحرية في فلسطين ركوب الحافلات الإسرائيلية فقط، مستوحين من حركة رگاب الحرية الأصلية في الولايات المتحدة المفصولة عنصرياً. وهناك أيضاً اعتصامات أدائية في الاحتجاجات السوداء المناهضة للحرب والتدخلات المختلفة في المدن حول العالم.

العلماء/العالمات والناشطون/ات والفنانون/ات يشيرون إلى اللجوء "النسوية المتعددة" أكثر فأكثر. وهي ليست ظاهرة وحدوية. نقلاً عن أنجيلا ديفيس، "نوع النسوية الذي أعرف به نفسي هو أسلوب للبحث ولكن أيضاً للنشاط السياسي." هناك حاجة عاجلة ولا هواده فيها إلى النشاط السياسي والمدني فيما نحن نتكلم هنا اليوم، والبعض منا لا يزالون/لن محتجزين/ات ويتعرضون/ضن للتعذيب بسبب أعمال من العروض النسوية الأدائية.

^٤ <http://www.latimes.com/opinion/op-ed/la-oe-morrison-davis-20140507-column.html>